٣ سلسلة محاضرات تربوية

تهذيب النفس
ودوره في بناء الفرد والمجتمع

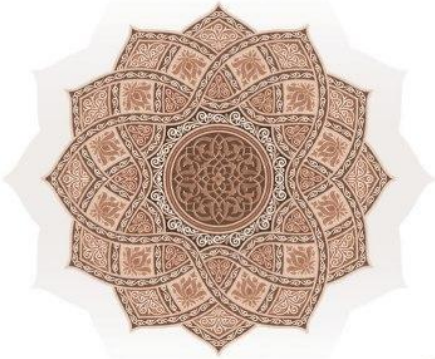

محمد باقر السيستاني

تهذيب النفس

ودوره في بناء الفرد والمجتمع

محمّد باقر السيستانيّ

محاضرة ألقيت على جمع من المدرّسين والمعلّمين

بتاريخ ٢٤/ ٦/ ١٤٤٠هـ

في النجف الأشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله خالق السماوات والأرض[1]، الذي أبدع في كل شيء خلقه حتى كانت آيةً عليه ودليلاً على علمه وقدرته؛ فما من كائن إذا تأمل الإنسان ظاهره وجد فيه مستوىً مذهلاً من النظم البديع والجمال الرائع، وإذا اطلع على باطنه رأى مزيداً من النظم والتقنين والتعقيد كما تيسر الاطلاع على ذلك في العصر الحديث بفضل تقدم العلم وتطوره، حتى أصبحنا من خلال العلم نقف

(١) أوردنا خطبة المحاضرة كما جاءت فيها.

كل يوم على مزيد من الروعة والتقنين في هذا الكون من أصغر ذرة فيه إلى الأجرام الكبيرة والمجرات العظيمة، فسبحانه ما أعظم قدرته وأجلّ إبداعه، وما أعجب من لم يهتد إليه بعد تذكيره أو تردد فيه بعد تنبيهه.

والحمد لله الذي منحنا القدرة على التفكير من خلال عقولنا وجعل النزوع إلى الحكمة في قلوبنا وأودع حب القيم الفاضلة في ضمائرنا وناجانا في ذوات نفوسنا واهتم بمخاطبتنا من خلال رسله وأنبيائه، فهو معني بشأننا يسمع سرنا ونجوانا ويستمع إلى دعائنا ومناجاتنا، فنأمله في كل حوائجنا ونستعين به في شدائدنا ونسترعيه في أمور ديننا ودنيانا وآخرتنا، فهو وليّنا ودليلنا وهادينا، فما أعظم نعمته في تعريفنا بنفسه وتذكيرنا بآياته ورعايته لنا في هذه الحياة بما اتسعت له مقاديره وتولّيه لأمورنا على قدر تقبّلنا وإقبالنا.

والحمد لله الذي لم يقصر وجودنا على هذه الحياة لنفنى بالممات، بل قدّر لنا بقاء أرواحنا ليعيدنا إلى الحياة في نشأة أخرى، ليلقى كل امرئٍ كتاباً يجد فيه نتاج سعيه وسرد عمله فيلقى الذين أساءوا ما عملوا ويجازي الذين أحسنوا بالحسنى فكانت الحياة بذلك مضماراً للمعرفة

والفضيلة يتسابق فيها الطامحون ويسبق إلى غاياتها السابقون ليبلونا جميعاً أيّنا أحسن عملاً، فسبحانه ما أجدّ هذا المشهد الذي وسمه وأعظم هذا المضمار الذي عقده للإنسان.

وعلى ذلك نشهد أنّ الله سبحانه هو مرجعنا ومرجع الخلق جميعاً، فإنما نسير في كل خطوة وهاجسة تحت نظره ورقابته ونقترب في كل لحظة من لقائه، ونسأله سبحانه أن يتولانا في المسيرإليه ويكرمنا عند لقائه بفضله ورضوانه.

ونشهد أنّ محمداً ﷺ نبيه ورسوله، ابتعثه على فترة من الرسل في أوساط العرب حين عمّ في الجزيرة العربية الشرك بالأصنام والاعتقاد بفناء الإنسان بالممات حتى استقر عامتهم على هذا الاعتقاد حتى قومه ﷺ قريش الذين كانوا في الأصل من ذرية إبراهيم عليه السلام الذي أسس البيت الحرام ليكون علامة على التوحيد في هذه البلاد، قد اصطنعوا لأنفسهم أصناماً كما فعل الآخرون، اللهم إلا خيطاً قليلاً فيهم بقي على التوحيد من غير مظهر عامّ لهذا الاعتقاد ولا معارضة متاحة للاعتقاد السائد بالشرك، وعلى ذلك كان النبي ﷺ إلى الأربعين من عمره

بين ظهراني قومه لم يشهدوا فيه استثناءً عما كان عليه الخيط الموحد من آبائه من توحيده سبحانه وعبادته والاتصاف بالطيبة والصفاء والصدق والأمانة، بل كان أمياً كقومه غير مطلع على الكتب السابقة وتعليماتها ولا متميزاً في نسق كلامه عن بلغاء قومه وفصحائهم، حتى إذا بُعث ﷺ جاء برسالة مميزة تشتمل على منتقى من أنباء الرسالات السابقة ومعارفها في شأن الإله والإنسان واليوم الآخر مع تشريعات جديدة تتسم بتحري الحكمة والعدالة والصدق والصلاح، مع أداء ذلك كله بأداء بلاغي مميز للغاية حتى عجز بلغاء العرب عن مجاراته والإتيان بمثله رغم تكرر تحديهم به، فكان ما جاء به حدثاً فريداً وهائلاً في الجزيرة العربية أدت شواهد الحق فيه وملامح الصدق عليه إلى تغيير الاعتقاد فيها بعد الشرك إلى الإيمان بالله سبحانه واليوم الآخر، وقد تمثّلت سيرته ﷺ بعد البعثة على الإجمال في القرآن الكريم الذي هو رسالة إلهية موثوقة إلى الخلق وثوقاً واضحاً ومشهوداً.

وقد انتقاه الله سبحانه لهذه المهمة لمكان ما وهبه إياه من مكارم الأخلاق ليكون في موضع القدوة والأسوة،

فكان كما قال تعالى على خُلُقٍ عظيم، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين.

تمهيد:

أما بعدُ فيسرّني اللقاء بالأساتذة والمشرفين التربويين للحديث حول تهذيب النفس ودوره في بناء الفرد والمجتمع، وذلك سعي مشترك منا جميعاً لأداء هذه الفريضة الفردية والاجتماعية بحسب المنطق الفطري والديني.

حيث يجب علينا جميعاً من المنطلق الفطري أن نزكّي نفوسنا ونروّضها على العمل بالقيم النبيلة التي هي دستور هذه الحياة المودع في باطن الإنسان. كما يجب علينا السعي في تزكية الآخرين وتربيتهم في الأسرة والمجتمع التعليمي بحكم موقعنا فيهما ووظيفتنا تجاه أولادنا والمتعلمين منّا جميعاً. بل علينا من المنطلق الفطري أن نكون عنصراً مساعداً على التزكية الاجتماعية العامة، إذ لن يتحقق المجتمع السليم الذي يراعي القيم إلا بالاهتمام العامّ من أفراده في هذا الاتجاه والتعاون بينهم على تحقيق هذه الغاية.

كما أن ذلك وظيفة دينية لنا جميعاً، حيث إنّ تزكية النفس وتحليتها بالقيم الفاضلة هو فرض عين على الناس في الدين، إذ لا يتيسّر العمل بتعاليم الدين ـ التي هي في أصولها ذات مبادئ فطرية وفي فروعها وتفصيلاتها تحرٍّ ملائم لها ـ إلا بتزكية النفوس وصلاحها، كما أن فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الدين ليست في حقيقتها إلا التأثير الإيجابي للإنسان على غيره في رعاية السلوك السليم والراشد وتجنب السلوك الخاطئ.

اهتمام الرسالات الإلهية بأمر تهذيب النفس

ومن ثم اهتمت الرسالات الإلهية بأمر تهذيب النفس اهتماماً بالغاً حتى جعلت (تزكية النفس) غايةً للأنبياء بجنب تعليمهم.

قال تعالى[1]: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾، وقال عز

---

(١) سورة الجمعة:٢.

من قائل[1]: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّـهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

فكانت تزكية النفس كتعليمها فريضة عامة وشاملة للجميع، كما كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرضاً من أهم فرائض الدين.

قال الله سبحانه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْـمُفْلِحُونَ﴾[2]، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّـهَ وَرَسُولَهُ أُولَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّـهُ إِنَّ اللَّـهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[3].

وقال عز من قائل في وصف المؤمنين: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ

---

(١) سورة آل عمران:١٦٤.

(٢) سورة آل عمران:١٠٤.

(٣) سورة التوبة:٧١.

﴿الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّـهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّـهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[2].

وقد خصّ الله سبحانه سورةً في القرآن الكريم للتنبيه على أهمية تزكية النفس ودورها في فلاح الإنسان في هذه الحياة وما بعدها، وأقسم على ذلك قسماً غليظاً مؤكداً بكل الكائنات التي يجدها الإنسان في هذا المشهد الكوني بما فيها من العظمة والروعة من سماوات مبنية فوقنا وأرض ممدودة تحتنا وشمس تشرق علينا ونهار يضيئنا وقمر ينير لنا ظلمة الليل، وذلك كله ما يشهده الإنسان حوله من الكون ومكوناته المبهرة، وبخالق هذه الكائنات كلها، كما أقسم بالنفس الإنسانية وخالقها التي ألهمها الله سبحانه المعاني النبيلة وأضدادها وجعل فيها محفزات الضمير ومزالق الشر، ووهب لها الاختيار والإرادة الحرة

---

(١) سورة التوبة:١١٢.

(٢) سورة الحج:٤١.

لكي يسير الإنسان بالمسيرة التي يراها.

فأقسم بذلك كله على أنّ فلاح الإنسان في هذه الحياة وما بعدها مقرون بتزكيته لنفسه، كما أن الخيبة حصاد من تركها ودساها، فالمبادئ الفاضلة هي مراقي الفوز والسلامة، والمعاني الخاطئة هي منزلقات الخيبة والخسران، وضرب تعالى في نهاية السورة بقوم ثمود مثلاً للخيبة في هذه الحياة بما نتج من طغيانها.

فلنتلُ هذه السورة ونصغي إليها بخشوع، قال عزّ مِن قائل: ﴿**وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا * كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا * إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا * فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّـهِ نَاقَةَ اللَّـهِ وَسُقْيَاهَا * فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا * وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا**﴾[1].

---

(١) سورة الشمس: ١ـ١٥.

موضوع البحث

ويقع القول في هذا الموضوع في عدة نقاط:

١ ـ تحديد السلوك المهذب (السليم).

٢ ـ حقيقة تهذيب النفس وأدواتها.

٣ ـ أهمية تهذيب النفس من المنظور الإنساني النفسي والاجتماعي.

٤ ـ أهمية تهذيب النفس من المنظور الإلهي والديني.

تحديد السلوك المهذب (السليم)

النقطة الأولى: في تحديد السلوك السليم.

لا شك في أنه لا يصح للإنسان أن يكون حراً في سلوكه بحيث يأتي بكل ما يجد داعياً إليه، ويترك كل ما عداه، فيعيش مزاجياً وغريزياً في هذه الحياة وفق ما تمليه غرائزه ورغباته.

بل عليه أن يسلك سلوكاً لائقاً ومهذباً.

والسلوك اللائق لا بد أن يتصف بصفتين:

١ ـ أن يكون حكيماً.

٢ ـ أن يكون فاضلاً.

السلوك الحكيم

أما السلوك الحكيم فهو السلوك الأصلح للإنسان بالنظر إلى ذات السلوك ومضاعفاته في العاجل والآجل.

فالسلوك الحكيم من الشاب بعد رشده أن يهتم بالاهتمامات التي تنفعه وتساعده على تكوين مستقبل ناجح وأسرة سعيدة من التعلم اللازم والأدب اللائق وأن تكون له علاقة ملائمة مع من حوله من آباء وأمهات وإخوة وأخوات وأصدقاء وزملاء، حتى تكون تلك العلاقة مساعدة على حياة هادئة ومناسبة وسليمة وسعيدة، ويتجنب العلاقات المؤذية والأشياء الضارة، وينتفع بإرشادات الوالدين ونصائحهم انتفاعاً جيداً.

والسلوك الحكيم من التلميذ أن يدرس بشكل يؤدي إلى نجاحه وتفوقه ويستوجب تقدير الأستاذ وإعجابه، ولا يختار على الدراسة اهتمامات لا تأثير إيجابي لها في حاضره أو مستقبله، بل تُعدّ تضييعاً للوقت فحسب.

والسلوك الحكيم من الأستاذ أن يدرّس التلاميذ تدريساً جيداً ومفهماً حتى يؤدي إلى النمو العلمي للطلبة وفاءً بما التزم به من تدريس الطلبة، فيكون أستاذاً ناجحاً

يستوجب التقدير من الطلبة وأهاليهم ومن المدير المسؤول عنه، ويرتزق رزقاً حلالاً طيباً مباركاً.

والسلوك الحكيم من المشرف التربوي أن يهتم بالأمور التربوية للطلبة اهتماماً لائقاً يقيهم من الضياع والمفاسد ويحفزهم على الخير والفضيلة، وفاءً منه بالتزامه دون إهمال وتقصير فيكون مشرفاً تربوياً ناجحاً وقديراً مستوجباً للتقدير والثناء.

والسلوك الحكيم من الأب أن يتكفل أولاده على وجهٍ يؤدي إلى سعادتهم، وسعادته بهم من حيث كفاية المؤونة والتربية والتعليم وسائر مقتضيات الحياة.

والسلوك الحكيم من الزوجين أن يتعاملا بينهما بمودة ورحمة حتى يكون أحدهما سكينةً للآخر ودفئاً ولا يعكّرا حياتهما بالخلافات الخاطئة والأماني الكاذبة والانفعالات العاجلة والمنافسات الواهمة.

والسلوك الحكيم للفتاة أن لا تفكّر في إثارة الفتيان بمظهرها وحركاتها، بل تهتم بوقارها ومتانتها ويكون طموحها الزواج من رجل محترم لا تجذبه إثارة الفتيات لإقامة علاقات عابرة معهن، لتكون لها حياة أسرية سعيدة حسبما تسمح به مقادير الحياة.

والسلوك الحكيم للباحثين العلميين أن يسعوا إلى استيعاب ما بلغه العلم من قبل وتفهّمه على وجهه وأن يهتموا بالبلوغ به إلى مبلغ أعلى حتى يكونوا جزءاً من حركة تطور العلم وتقدمه، فينالوا بذلك التقدير الملائم في محيطهم ويعيشوا من خلاله حياتهم بسعادة واحترام.

والسلوك الحكيم للمجتمع أن يسعى إلى توفير حياة سعيدة لجميع أفراده بشكل مناسب حتى تقلّ فيه نوازع الشر ودواعي الجريمة ويعمّ فيه الأمان والعدل ويتقدم المجتمع في عزٍّ ورخاء.

والسلوك الحكيم للحاكم أن يسعى إلى سعادة المجتمع على الوجه الذي يُتاح له ويهتم بتوفير جميع مقومات السعادة في الحياة لهم وأن يسعد بسعادتهم ويشقى بشقائهم فيفي ذلك بتعهده تجاههم ويستوجب الأجر المحدد له على عمله، وبذلك يسهل له إدارة المجتمع لكونه أبعد عن وجوه الصراع والخلاف والتشاحن والجرم ويكون ذلك أدوم له وأبقى، فينال الثناء والتقدير في حياته والذكر الجميل بعد وفاته.

والسلوك الحكيم للقوى الدولية أن تسعى في جهة تعميم السعادة في المجتمع البشري بما يتاح لهم وفق

مؤهلات كل مجتمع وخصوصياته بدلاً عن الانحياز إلى الأطراف الظالمة والقوى المتعسفة والتستر وراء دعاوي حقوق الإنسان مع الكيل فيها بمكيالين حسب منافعها السياسية والاقتصادية وفرض ثقافة أحادية على جميع البلدان والاهتمام بالحصول على ثروات البلاد الأخرى بطرق غير منصفة، والمكيدة بالمخالفين لها مهما لحق بشعوبهم، وترك كثير من البلاد التي لهم نفوذ فيها في بؤرة الفقر والصراع والاستبداد.

ولو سلكت تلك القوى هذا المسلك بدل السياسات التي يجرون عليها لم يكن ذلك أكثر كلفةً لهم من الإنفاقات الباهظة على التسلح وإعانة المستبدين والطغاة والظالمين.

وهكذا يكون لكل إنسان سلوك حكيم وملائم يضمن ما يتأتى له من الصلاح والسعادة وفق ما تسمح به مقادير الحياة وقواعدها وفق قابلياته وقدراته وبيئته.

كما أن المجتمع الحكيم ما كان اتجاهه في التعامل مع أفراده ومع الآخرين وفق التوصيف السابق.

وأما السلوك الفاضل فهو ما أُخذ فيه بالاعتبار مراعاة المبادئ الفاضلة، حيث لا شك في أن النفس

الإنسانية تتصف بجانب العقل والنزوع إلى الحكمة والصلاح إلى استحسان الفضيلة.

والفضيلة على نوعين:

١ ـ فضيلة إلزامية، وهي سلوك لا يستسيغ العقل تركه ويجد حزازة شديدة فيه كما في تجنب إيذاء الآخرين والاعتداء عليهم.

٢ ـ وفضيلة طوعية، كما في الإحسان غير الواجب إلى الآخرين وإيثارهم على النفس، فإنّ الضمير الإنساني يستحسن ذلك وإن لم يشعر بالإثم عند تركه.

وتبتني الفضائل على عدة خصال، من أهمها:

أولاً: تجنب الظلم والإساءة إلى الآخرين في نفس أو عرض أو مال أو أية حرمة فطرية أخرى.

ثانياً: الإحسان إلى الغير ولا سيما إلى ذوي الحقوق بالإحسان مثل الوالدين وإلى المضطرين كالفقراء والمساكين والأيتام والمرضى.

ومن وجوه الإحسان إلى الآخرين الاهتمام بإعانتهم في سبيل السلوك الحكيم والفاضل سواء كان بعمل صامت يحفّز على هذا السلوك أم بقولٍ حسنٍ يرغّب إليه ويحثّ عليه، أم بإعانتهم عملاً في هذا السلوك.

ثالثاً: الصدق في القول والسلوك والشهادة، وتجنب الكذب والقول بغير علم والرياء والنفاق والازدواجية والغش والخديعة ونحوها.

رابعاً: الوفاء بالالتزام من العهود والأيمان الوظيفية والمالية والاجتماعية، وهي قيمة إنسانية يبتني عليها نظام كسب الأموال ونقلها واكتساب الصلاحيات في إدارة المجتمع حيث يبتني نظام الإدارة على الانتخاب وهو ضرب من العقد بين الحاكم والمحكوم على العمل اللائق.

خامساً: العفاف في مقام الاستجابة للغريزة والسعي إلى الإيفاء بها من خلال التعاقد (الزواج)، وتجنب الفاحشة والمنكر والإغراء إليهما بالقول والمظهر والسلوك.

ولا تقاطع بين السلوك الحكيم والسلوك الفاضل عند التأمل الجامع في الأمور، لأن السلوك الفاضل موافق مع صلاح الإنسان حقيقةً بالنظر إلى عواقب السلوك وآثاره ومضاعفاته، ومن ثم نلاحظ أن ما ذكرناه من قبل في تحديد السلوك الحكيم للإنسان يوافق مصلحة الإنسان في الحقيقة، وسيأتي مزيد توضيح لذلك.

حقيقة تهذيب النفس وأدواته

النقطة الثانية: في حقيقة تهذيب النفس.

إن مبادئ السلوك السليم هي أمور مركوزة في النفس الإنسانية، كما نشهدها جميعاً بالوجدان، ولكنها ليست بدرجة توجب انسياقنا قهراً إليها، لأن الإنسان مزوَّد بجنبها بغرائز وانفعالات تدعو إلى الاستجابة لها وإروائها بشكل مطلق غير محددة بموافقة الفضيلة. مثلاً إذا كنا جائعين ووجدنا طعاماً مملوكاً للآخرين فإنّ الجوع يدعونا إلى تناول الطعام وإن لم يكن صاحبه قد أذن لنا في تناوله، فتحفيز الجوع لنا على تناول الطعام ليس محدداً بأن يكون على وجه غير ذميم.

وقد مُنح الإنسان القدرة على الحكم في سلوكه، وهو ما يسمى بالاختيار، فله أن يستجيب لصوت الفضيلة، أو لإلحاح الغريزة والانفعال.

وأفعال الإنسان وسلوكياته كلها ـ رغم اختيار الإنسان فيها ـ إنما تنشأ عن الدواعي النفسية، فهذه الدواعي هي التي تدعو الإنسان إلى هذا السلوك أو ذاك، ومن ثم لا بد للإنسان في سعيه إلى السلوك الحكيم

والفاضل من أن يقوي في نفسه الدواعي الحكيمة والفاضلة لتكون دواعٍ مؤكدة وقوية وراسخة حتى يتأتى له في حين تعرّضه لخيارات مختلفة اختيار الخيار الحكيم والفاضل.

توضيح ذلك: أن الداعي الحكيم والفاضل بالمستوى الأولي الذي جُهّز به الإنسان داعٍ اعتيادي، ومن ثم لن يكون تأثيره في سَوق الإنسان إلى السلوك الحكيم والفاضل تأثيراً مضموناً، بل يمكن أن يغلبه الداعي الغريزي في حينه، ولعله الغالب، لأن الداعي الغريزي بطبيعته يتّسم بالإلحاح ويدفع إلى الاستعجال في الإيفاء بالحاجة، وأما الداعي الفاضل فهو على العموم داعٍ هادئ وهو بطبيعته تضحوي، بمعنى أنه لا يفكر الإنسان في مراعاته في تحصيل نفع ظاهر، وإن كان نوعاً موافقاً لصلاح الإنسان، لكن يحتاج الانتباه إلى ذلك إلى ملاحظة العواقب والنتائج القريبة والبعيدة، فالداعي الفاضل أشبه بتقييد النفس، كما أن الداعي الغريزي أشبه بإطلاق النفس واسترسالها.

ومن ثم لا بد من السعي في جعل الداعي الحكيم والفاضل داعياً مؤكداً، وذلك بتعميقه وترسيخه من

خلال أدوات ثلاث:

١ ـ أداة التأمل والتفكير الراشد.

٢ ـ أداة السلوك المتكرر.

٣ ـ أداة البيئة المشجعة والمثبطة.

فهذه الأدوات الثلاث هي العناصر المؤثرة في الإنسان.

١ ـ فإذا تأمل الإنسان في قيمة الداعي الحكيم والفاضل ودوره الإيجابي في حياة الإنسان كان من شأن ذلك إلى تغليب هذا الداعي.

والتفكير أمر مهم للغاية، وغالب أخطاء الإنسان ينشأ عن عدم التفكير والبتّ الكافي حول الموضوع، بل يكون الاختيار لحظياً من غير أن يبتني على أساس راسخ.

٢ ـ كما إنّ السلوك المكرر يساعد على رسوخ هذا السلوك ويخفف مؤونته في النفس، فالمرء عندما يلتزم بالسلوك الحكيم والفاضل عند تعرضه للوسوسة في اختيار السلوك الآخر يحتاج في البداية إلى مؤونة إضافية في ممارسة العفاف، ولكن إذا رسخ فيه هذا السلوك عادةً سَهُل وانساقت إليه النفس بسهولة ويُسر.

وفي السلوكيات الخاطئة ما يفتح وقوعه من الإنسان

لمرة واحدة باباً على الإنسان، فمن ارتكب الخطيئة الأخلاقية مرةً هانت عليه ووسوست له نفسه ارتكابها كلما أثير أو وجد بيئة للإثارة، ولن يتخلص من هذه الوسوسة إلا بعناء، بخلاف من لم يرتكبها أصلاً.

٣ ـ وأما البيئة فهي عامل ثالث تسهل على الإنسان السلوك، لأنها تزوّد النفس الإنسانية بدواعٍ اجتماعية مساعدة أو منافرة، ومن ثم ترى أنه يصعب على المرء مخالفة الأعراف العامة، حتى كأنه يسبح ضد التيار الجارف حتى إذا كانت تلك الأعراف خاطئة.

وعلى ضوء ذلك يتضح أن حقيقة تهذيب النفس يرجع إلى إيجاد خصال راسخة واتجاهات سلوكية مستقيمة وفق المبادئ الأخلاقية، كما أن استرسال النفس ـ في مقابل تهذيبها ـ يرجع إلى غلبة الرغبات الغريزية والانفعالية العاجلة، بحيث تكون منهجاً للإنسان.

فعلينا لأجل تهذيب أنفسنا السعي في إرساء اتجاهات سلوكية مهذبة راسخة في نفوسنا والسعي إلى الحفاظ عليها عند تعرضها للاهتزازات والاختبارات الصعبة، من خلال التفكير في الخطى والخيارات المختلفة وآثارها والانتفاع بتجارب الحياة ونصائح الآخرين، ومن خلال

تقوية الإنسان لإرادته للسلوكيات الصحيحة بالالتزام العملي بها حتى تكون عادة للإنسان، ومن خلال إحاطة أنفسنا ببيئة سليمة (في الأسرة والأصدقاء) حتى يساعدنا ذلك على السلوك السليم ويصوننا بأجوائها عن السلوك الخاطئ.

كما إن علينا لأجل تهذيب أولادنا والمتعلمين منا:

أولاً: أن نسعى إلى ترشيد أفكارهم وقراراتهم بلغة عقلانية وراشدة ومقنعة تناسب إدراكاتهم.

وثانياً: أن نسعى من خلال التوجيه إلى اعتيادهم على هذا السلوك واستقرارهم عليه.

وثالثاً: أن نوجد بيئة أسرية وتعليمية واجتماعية مساعدة ومشجعة على السلوكيات السليمة والراشدة.

أهمية تهذيب النفس من المنظور الإنساني

النقطة الثالثة: أهمية تهذيب النفس من المنظور الإنساني النفسي والاجتماعي.

إنّ تهذيب النفس والمجتمع مقصد إنساني عامّ، فينبغي للإنسان من المنظور الإنساني ـ الفردي والاجتماعي ـ أن يكون مهذباً في سمته وسلوكه وفي خصاله وأخلاقه، وعاملاً مساعداً في تهذيب الآخرين ابتداءً من الأسرة والأرحام، ثم الطلبة والتلاميذ، ثم الزملاء والأصدقاء، ثم المجتمع العامّ.

وذلك لوجهين: وجه قيمي، ووجه حِكَمي.

أما الوجه القيمي: فهو أمر وجداني، وذلك أن كل إنسان سويّ يجد من نفسه انجذاباً إلى القيم وميلاً إليها، كما يجد إثماً وحزازةً في نفسه في حال انتهاكها في القيم الإلزامية، فلا يستسيغ أحدنا قتل الآخرين وجرحهم وهتك أعراضهم وسرقة أموالهم.

ويجد الإنسان أيضاً أنّ الانجذاب إلى القيم الفاضلة ليس على نحو الانجذاب للاقتضاءات الغريزية كالطعام والشراب والزواج، بل هو في موقع أعلى في النفس.

ومن ثم نجد إنه متى دار الأمر بين انتهاك قيمة ملزمة أو الاستجابة لغريزةٍ ما مثل سرقة الطعام لأجل التلذذ بأكله فإنه يتعين عليه مراعاة تلك القيمة، وليس مخيّراً بينهما كما هو الحال فيما لو دار الأمر بين الاستجابة لهذه الغريزة والاستجابة لغريزة أخرى.

فيدلّ ذلك على أن التكوين النفسي يضمّن جعل القيم الإلزامية قانوناً داخلياً ليتبوأ موقع القيادة والحكم على الغرائز في داخل النفس الإنسانية، وهذا أمر وجداني مشترك بين الناس، بل هو مشترك بين جميع الأقوام والملل في مغارب الأرض ومشارقها.

وأما الوجه الحِكَمي: ـ والمراد به موافقة رعاية القيمة لصلاح الإنسان ـ فهو من وجوه:

١ ـ إن القيم الفاضلة الإلزامية تمثل السلوك الأصلح للإنسان شأن النظم المودع في داخل الكائنات الحية، حيث نجد بملاحظة أحوال هذه الكائنات من الطيور وغيرها أن كل كائن منها مزود بنظام يكون العمل عليه موافقاً لصلاحه.

وهذا ينطبق في شأن الإنسان والنظام القيمي المودع في داخله، ومن ثم لو فرضت إلغاء أية قيمة من حياة

الإنسان بشكل مطلق لم تستقم الحياة الإنسانية، كما لو فرض إلغاء قيمة الصدق وحرمة المال والوفاء بالالتزام والعفاف وغيرها.

نعم إنّنا عندما نفكر في انتهاك قيمةٍ ما بشكلٍ استثنائيٍ ربما نقدّر انتفاعنا بذلك ، فنحن نذعن بالحاجة إلى الصدق في الحياة الإنسانية، ولكننا نعتقد أن الكذب أحياناً نافع للإنسان.

وكذلك الحال في مراعاة حرمة الأموال، فإنها ضرورة في الحياة الإنسانية، ولكن السرقة أحياناً نافعة للسارق لأنه ينتفع بالمال المسروق، فقبح السرقة مبدأ ضروري للإنسان.

فلو طُبع الإنسان على استباحة أموال الآخرين ولم يشعر بالحرج فيه ولا استطاع من الثقة بالآخر لم تستقر الحياة الإنسانية، ولكن إذا ارتكب بعض الناس السرقة انتفاعاً من أجواء الثقة بينهم بجري الآخرين على فطرة استقباح السرقة لم يتضرر السارق بذلك.

ولكن هذا التقدير ـ المبني على كون الكذب أو السرقة نافعاً أحياناً ـ خاطئ بشكل مؤكد، فإن الكاذب والسارق في بعض الحالات وإن انتفع بكذبه وسرقته في

تلك الحادثة الخاصة حسبما فُرض، إلا أن ذلك ليس من صلاحه في شيءٍ نوعاً.

وهناك فرق بين المنفعة والمصلحة، لأن الترتيب النفسي للإنسان مقنن على رفض الكذب والظلم والسرقة وأخواتها، فإذا استهان بها مرة حدث وهن في هذا الترتيب.

وهذا الوهن يضرّ بتأصيل القيمة في النفس ويستتبع نوعاً تكرر نقضها، وهو من شأنه أن يغيّر آليات العمل والسلوك فيكتفى بالسرقة عن الرزق الحلال وبالكذب عن الدراسة الجادة وهكذا.. فيؤدي بالنتيجة إلى تغيرات سلبية أساسية غير مرئيّة ابتداءً في سلوكياته ويستتبع آثاراً اجتماعية ضارة خاصةً بالنظر إلى معرضية السلوك ولا سيما مع تكرره للانكشاف، وانكشاف الخطيئة يوجب مزيداً من فقدان الثقة بالنفس وفقدان الثقة من قبل الآخرين، ولذلك كله مضاعفات سلبية.

إذاً صلاح الإنسان يقتضي عمله بما فُطر عليه من المعاني الفاضلة، للاختلال الحاصل في تربية النفس الداخلي بنقضها.

ومما يتعلق بأهمية مراعاة القيم الصحيحة في صلاح

الإنسان:

١ ـ أنّ الأخلاق المهذبة تمنح الإنسان سعادة نفسية داخلية، لأن الإنسان مجهز بضمير وجداني يقتضيها، وفي حال إرضاء هذا الضمير وقناعة الإنسان في العمل بمقتضاه تكون هناك راحة داخلية في مرحلة العقل الباطن فضلاً عن مرحلة العقل الظاهر والشعور المحسوس، فيوجب ذلك السكينة والطمأنينة وهدوء البال.

٢ ـ كما أنّ ذلك يؤدي إلى استقامة نفسية للإنسان واعتدال تصرفاته وسلوكياته، وفي حال سخط الضمير فإن من شأن ذلك أن يؤدي إلى القلق والتشويش، ينتج منه اضطراب في شخصية الإنسان وعدم تناسق تصرفاته وسلوكياته، وهذا أمر يجده الإنسان بتأمل أحوال الأشخاص المهذبين من حولنا ـ حسب اختلاف مستوياتهم في التهذيب ـ فنجد أن الإنسان المهذب أسعد نفسياً، وإن تمتع بإمكانات مالية أقل، كما أنه أكثر استقامةً في سلوكياته، وأما الآخر غير المهذب فهو شخصية يتسم بالاضطراب والتناقض ويسبب لنفسه مشاكل هو في غنىً عنها.

٣ ـ أنّ السلوك المهذب يؤثر تأثيراً إيجابياً على الإنسان من الأسرة والأصدقاء والزملاء ـ حسب درجة تهذيب الإنسان من جهة واستعداد استقبال الآخرين، فالأخلاق والسلوكيات المهذبة هي أشبه بالعطر الذي تفوح رائحته فيما حوله لا محالة، مما يؤدي إلى انبساط من يشمه واستحسانه، فمن يعاشر الإنسان المهذب والسلوك المهذب فإنه يجد شعوراً بالاستحسان والثقة، وهذا يؤدي إلى تعامله الإيجابي مع الإنسان، وذلك يعود بالنفع على المرء ويمنحه مزيداً من السعادة.

إنّ سعادة الإنسان وفق السنن النفسية الاجتماعية مقرونة بسعادة الأسرة والمجتمع، فكلما ساعد أحدنا بأخلاقه وسلوكه على سعادة المجتمع عاد ذلك بالنفع على سعادتنا وسعادة من يعنيه أمرنا من أسرتنا وأحبائنا وأولادنا وأولادهم، وهذا أمر يتضح من خلال الرؤية الثاقبة إلى الحياة والتي ننظر إليها من علٍ وفق طبيعة العوامل النفسية والاجتماعية، وهو المبدأ الذي يسير عليه علم التنمية البشرية المعاصر.

نعم إذا نظر الإنسان إلى هذه الحياة نظرةً سطحيةً أو مستعجلةً فإنه قد لا يدرك هذه الحقيقة، فهو يرى أن

الإنسان إذا لم يكن شريراً لا يحصل على السعادة ويستشهد على ذلك أن العامل إذا اتصف بالصدق والأمانة تبقى سعادته مرهونةً براتبه، بينما الذي يمد يده إلى ما اؤتمن عليه فإنه يحصل بطبيعة الحال على مالٍ أزيد مما يساعد على زيادة في سعادته.

لكن هذه الطريقة في التفكير خاطئة وغير موثوقة. فكم وجدنا عاملاً مهذباً أدى إلى مزيد من الاعتماد عليه حتى احتل مرتبةً عليا، وكم من عاملٍ خان وكذب أدى ذلك إلى زوال الثقة به واكتشف زيفه فتضرر من هذه الصفة.

على أن من يخون يعاني من شيء يخفيه وهو يؤدي إلى قلقه وسوء تصرفه مع ذويه، بينما يتصف الأول بنفسٍ مطمئنةٍ ومستقيمةٍ.

إذاً علينا أن نؤمن أن الضمير الإنساني هو القوة الداخلية للإنسان التي ينبغي أن تكون حاكمةً على سائر قواه وغرائزه ونافذةً في تحديد تصرفاته وسلوكياته لأجل أن يحصل الإنسان على السعادة، فالأخلاق المهذبة في حد نفسها من شأنها أن توجب الراحة والطمأنينة والسعادة، وهي الأساس الصحيح للسعادة المودع في باطن الإنسان.

أهمية تهذيب النفس والمجتمع في المنظور الإلهي والديني

النقطة الرابعة: في أهمية تهذيب النفس والمجتمع في المنظور الإلهي والديني.

إنّ أهمية تهذيب النفس والمجتمع تتأكد بدرجة كبيرة من المنظور الديني والإلهي حتى إنه يُعدّ فريضة مؤكدة على كل إنسان من الناحية الشرعية لأجل تربية النفس وتنميتها على وجه يؤدي إلى السلوك الصحيح والسليم.

وذلك من وجوه ثلاثة مترابطة:

١. إنّ الدين يؤكد على الحقيقة المتقدمة من دور تهذيب النفس والخصال السليمة في سعادة الإنسان في هذه الحياة، فهذه الخصال هي سنن الخير والسعادة، وأضدادها أسباب الشر والشقاء، ويلفت الدين في هذا السياق على أن هذه السنن هي الصراط المستقيم الذي يؤدي بالإنسان إلى الغاية التي يرجوها.

ويكشف الدين بشكل خاص: عن آثار وضعية غير منظورة للإنسان للخير والبركة في الأعمال الفاضلة حتى إذا صدرت من غير المؤمن كبرّ الوالدين وصلة الأرحام

والتصدق على المساكين، بينما تؤدي الأعمال الخاطئة إلى سلبيات ومضاعفات غير متوقعة للإنسان بالنظر العام، ومن ذلك ما ورد من دفع الصدقة للبلاء، وزيادة صلة الرحم في العمر، وتأثير ظاهرة اليمين الكاذبة في دمار المجتمع.

٢. إنّ الله سبحانه متصف بالمبادئ الفاضلة ومودع لها في داخل الإنسان بعنايةٍ وحامٍ لها، والمبادئ الفاضلة في داخل الإنسان في الحقيقة تمثل تعليمات الإله التي أودعها في باطن الإنسان.

ثم إنّ الإله لم يهمل الإنسان ولم يتركه لشأنه، كما قال سبحانه: ﴿**أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى**﴾(١)، وقال عزّ شأنه: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**﴾(٢).

فهو سبحانه قيّم على الإنسان كما أن رب الأسرة قيّم عليها، وكما أن ربّ الأسرة يحمي العمل بالقيم داخل

---

(١) سورة القيامة:٣٦.

(٢) سورة المؤمنون:١١٥.

الأسرة من خلال حقه على أفرادها، فإنه تعالى يقدّر العمل الفاضل والخصلة الفاضلة من الإنسان ويرعى صاحبها، ويكره العمل الخاطئ والخطيئة ويوكل صاحبها إلى نفسه، كما قال تعالى[1]: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾.

٣ ـ وهو الأهم ـ أن الدين يقرر أن الإنسان لا يفنى بهذه الحياة بل هو كائن خالد، وسوف يلقى ما سعى إليه في الحياة الآخرة حسب أعماله في هذه الحياة، فمن عمل عملاً فاضلاً فقد استثمر لحياته الأخرى ولقي مكافأة وجزاء وفضلاً، ومن فاته العمل الفاضل فقد فاته خير كثير، ومن أتى بعمل خاطئ لقي عناءً وشقاءً.

قال سبحانه:

١ ـ ﴿**مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَـئِكَ**

---

(١) سورة النحل:٩٧.

كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا * كُلًّا نُّمِدُّ هَـؤُلَاءِ وَهَـؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا * انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾(١).

٢ ـ ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾(٢).

٣ ـ ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾(٣).

٤ ـ ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾(٤).

٥ ـ ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى

---

(١) سورة الإسراء:١٨ـ٢١.

(٢) سورة الكهف:١٠٣ـ١٠٤.

(٣) سورة الأنبياء:٩٤.

(٤) سورة النجم:٣٩ـ٤١.

﴿بِنَا حَاسِبِينَ﴾[1].

وعلى الجملة فالحياة ميدان للسباق في الفضيلة، والله سبحانه ـ الذي هو المبدع لهذا المشهد كله ـ راعٍ لهذا السباق، ولكل امرئٍ درجته بحسب ما عمل فيها، والشرائع الإلهية جاءت لتكشف هذا المشهد الرائع والجادّ، قال سبحانه: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[2]، ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[3].

هذا بالنسبة إلى تهذيب الإنسان لنفسه.

أما بالنسبة إلى الآخرين: فإنّ كون الإنسان جزءاً من حركة نشر الحكمة والفضيلة عملٌ عظيمٌ ومبارك، فمن يحرص ـ مضافاً إلى الاهتمام بتهذيب نفسه ـ إلى ترويج الفضيلة في وسط الآخرين فإنه يكون صدىً لصوت الإله في الدعوة إلى الفضيلة، وإنّ الله سبحانه لَيُكبر المرء

---

(١) سورة الأنبياء:٤٧.

(٢) سورة الأحقاف:١٩.

(٣) سورة المجادلة:١١.

الذي يكون له اهتمام بنشر الفضيلة شريطة أن يكون مخلصاً في ذلك لا يبتغي به جاهاً ولا مكانة، وأن يكون ذلك بالأسلوب الملائم والحكيم، فيجعل له سبحانه من الأجر مثل أجر من استجاب لها في أثر دعوته والاقتداء به، ومن ثم جاء في الحديث النبوي المعروف أن: ((مَن سن سنة حسنة فله أجرها وأجر مَن عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص أجورهم شيء))[1].

وبذلك تتعلق فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الدين ـ كما ذكرنا من قبل ـ، فالمراد بهذه الفريضة إنما هو أن يستفيد الإنسان من ثقله وموقعه في الأسرة والمجتمع في اتجاه نشر المعروف والترغيب عن المنكر بالطرق التربوية الملائمة والمؤثرة.

والدعوة إلى الفضيلة أنواع ثلاثة: دعوة ناطقة، ودعوة صامتة، ودعوة مزدوجة، بأن يكون نطق الإنسان وقوله مقروناً بعمله الصامت شريطة أن يكون هذا العمل اندفاعاً فاضلاً حقيقةً لا رياءً ومصانعة، ولكل

---

(١) تهذيب الأحكام ج:٦ ص:١٢٤، وقريب منه في مسند أحمد ج:٣١ ص:٥٣٧.

مقامٍ ما يناسبه من أنواع الدعوة، فرُبّ صمتٌ أبلغ من كلام.

وأَولى الناس بالتقدير من ربّى نفسه على الفضيلة فكان بعمله مثلاً فاعلاً وأسوةً مؤثرةً للآخرين.

وأما مَن نادى بالفضيلة وظهر منه خلافها فإنه يهوّن الفضيلة بهذه الازدواجية ويحاسَب على ذلك، ومن ثم جاء قوله تعالى: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾[1]، وقال الإمام علي عليه السلام في بعض كلامه: ((لَعَنَ اللهَّ الآمِرِينَ بِالْـمَعْرُوفِ التَّارِكِينَ لَه، والنَّاهِينَ عَنِ الْـمُنْكَرِ الْعَامِلِينَ بِه))[2].

وللتربية آداب ولياقات بعضها معروف وبعضها موصوف في القرآن الكريم وما أُثر عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام، وهناك تفاصيل يتم بيانها في علم النفس التربوي والتنمية الأسرية والإنسانية.

ولتجربة الإنسان دخل كبير في الانتقال إلى الأساليب الملائمة أو استيعابها، فعلى الإنسان الحكيم

---

(١) سورة البقرة:٤٤.

(٢) نهج البلاغة، تحقيق: صبحي الصالح ص:١٨٨.

ـ وخاصة من تولى أمر التربية في الأسرة أو في المراكز التعليمية من مدارس ومعاهد وجامعات ـ أن يتعلم من الحياة دائماً دروساً في أساليب التربية، ويعتبر بالأحداث التي يشهدها، ويهتم بتثقيف نفسه من خلال الاطلاع على النتاج الإنساني الحكيم في العلوم ذات العلاقة.

ولنختم هذا اللقاء بآيات من القرآن الحكيم، قال سبحانه يصف مشهد الحياة وآثار سعي الإنسان فيها:

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى * فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى * وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى * إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى * وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾(١).

والحمد لله ربّ العالمين.

---

(١) سورة الليل: ١ـ١٣.

الفهرس

تمهيد	٧
اهتمام الرسالات الإلهية بأمر تهذيب النفس	٨
موضوع البحث	١٢
تحديد السلوك المهذب (السليم)	١٢
السلوك الحكيم	١٣
حقيقة تهذيب النفس وأدواته	١٩
أهمية تهذيب النفس من المنظور الإنساني	٢٤
أهمية تهذيب النفس والمجتمع في المنظور الإلهي والديني	٣١
الفهرس	٣٩

فعلينا لأجل تهذيب أنفسنا السعي في إرساء اتجاهات سلوكية مهذبة راسخة في نفوسنا والسعي إلى الحفاظ عليها عند تعرضها للاهتزازات والاختبارات الصعبة، من خلال التفكير في الخطى والخيارات المختلفة وآثارها والانتفاع بتجارب الحياة ونصائح الآخرين، ومن خلال تقوية الإنسان لإرادته للسلوكيات الصحيحة بالالتزام العملي بها حتى تكون عادة للإنسان، ومن خلال إحاطة أنفسنا ببيئة سليمة (في الأسرة والأصدقاء) حتى يساعدنا ذلك على السلوك السليم ويصوننا بأجوائها عن السلوك الخاطئ.